

كمال الدين وتمام النعمة

[12] الماثوبة وما زاد في الماثوبة إلا كشف عن الرحمة، ودل على الجلالة، فصح الخبر أن فيه تأييد الحكمة وتبليغ الحجة. وفي قول الأعمش عزوجل: " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة " حجة في غيبة الإمام عليه السلام من أوجه كثيرة: أحدها أن الغيبة قبل الوجود أبلغ الغيبات كلها وذلك أن الملائكة ما شهدوا (1) قبل ذلك خليفة قط، وأما نحن فقد شاهدنا خلفاء كثيرين غير واحد قد نطق به القرآن وتواترت به الأخبار حتى صارت كالمشاهدة والملائكة لم يشهدوا (2) واحدا منهم، فكانت تلك الغيبة أبلغ. وآخر: أنها كانت غيبة من الأعمش عزوجل، وهذه الغيبة التي للإمام عليه السلام هي من قبل أعداء الأعمش تعالى، فإذا كان في الغيبة التي هي من الأعمش عزوجل عبادة لملائكته فما الظن بالغيبة التي هي من أعداء الأعمش. وفي غيبة الإمام عليه السلام عبادة مخلصه (3) لم تكن في تلك الغيبة، وذلك أن الإمام الغائب عليه السلام مقموع مقهور مزاحم في حقه، قد غلب قهرا، و (جری) على شيعته (قسرا) من أعداء الأعمش ما جرى من سفك الدماء ونهب الأموال وإبطال الأحكام والجور على الإيثار وتبديل الصدقات وغير ذلك مما لاخفاء به، ومن اعتقد موالاته شاركه في أجره وجهاده، وتبرأ من أعدائه، وكان له في براءة مواليه من أعدائه أجر، وفي ولاية أوليائه أجر يربو على أجر ملائكة الأعمش عزوجل على الإيمان بالإمام المغيب في العدم، وإنما قص الأعمش عزوجل نبأه قبل وجوده توقيرا وتعظيما له ليستعبد له الملائكة ويتشمروا لطاعته. وإنما مثال ذلك تقديم الملك فيما بيننا بكتاب أو رسول إلى أوليائه أنه قادم عليهم حتى يتهيؤوا لاستقباله وارتياح الهدايا له ما يقطع به ومعه عذرهم في تقصير إن قصروا في خدمته كذلك بدأ الأعمش عزوجل بذكر نبأه إبانة عن جلالته ورتبته، وكذلك قضيته في السلف والخلف، فما قبض خليفة إلا عرف خلقه الخليفة الذي يتلوه، وتصديق _____ (1) في بعض النسخ " ما شاهدوا ". (2) في بعض النسخ " لم يعهدوا ". (3) في بعض النسخ " عبادة محصلة _____ (*). "